

تحقيقات تاريخية

للاستاذ أحمد رمزي بك

ذلك الوقت، ولم تكن ملطية ولا آمد تحت سلطان الملك ليو الخامس، وإنما كانت هناك مملكة للأرمن على أطراف بحر الشام وكان صاحبها يطلق عليه « مملكة سيس » وقد انحصر ملك الأرمن في منطقة من السهول حول مدينة سيس تحيط بها الحصون التي أنشأها المسلمون والصليبيون واحتلها الأرمن ونحسوها فيها، وكانت هذه الإمارة تخضع أحياناً خضوعاً إسمياً لمصر وتحالف النول إذا جاءوا للفتح وتدارى ملوك الروم من سلاجقة وركان، إذن فلا علاقة بين هذه المقاطعة والحروب التي قامت في عهد الناصر في ديار بكر والجزيرة وأرض الروم وترتب عليها فتح ملطية وآمد وغيرها فقد حضر أبو الفداء يجمع عسكر مصر والشام في حلب ولازم الحملة في خروجها لفتح ملطية وحدثنا عن الراحل التي قطعها الجيش المصري من عينتاب إلى نهر الرزبان وصحبه مرزبان إلى رعيان قاله الأزرق قال « وجعلنا حصن منصور على يميننا » ثم إلى زبطرة حتى حصار ملطية ولم يذكر لنا الأرمن في طريقه ولا في عودته كأصحاب دولة وسطان وإنما ذكر في ملطية ما كان اسمه جمال الدين الخضر وهو من بيت بعض أمراء الروم . وأما كن هذه الواقع التي صرت بها الحملة في سيرها وعودتها معروفة على الخرائط وهي بعيدة عن أراضي ملك الأرمن في سيس . وما قلناه عن ملطية ينصب على آمد الواقعة على نهر دجلة وبينها وبين « ليو الخامس » مملكة سيس مراحل وأراضي شاسعة منها ما هو تحت

أفرد الدكتور على إبراهيم حسن في كتابه « دراسات في تاريخ الممالك البحرية » باباً عن السياسة الخارجية ضمنه حروب مصر وعلاقتها مع الدول الأجنبية، وهو بحث شيق دل على سعة اطلاعه وتدقيقه حينما عرض لما يتعلق بدول النول في فارس والقفجاق والهند، ولكنني دهشت حينما أفرد قسمًا لدولة سماها أرمينية وأدخل في حروب مصر معها فتح ملطية وآمد وغيرها من البلاد الإسلامية إذ قال في صفحة ١٦٨ « إلا أن الأرمن قد عاودوا المصيان فأرسل إليهم الناصر حملة وأمر تنكز بالانضمام إليها، فخرج في أول محرم سنة ٧١٥ وحاصر ملطية ودخلها في يوم الثلاثاء ٢٣ محرم من تلك السنة . » وفي صفحة ١٦ « توالى انتصارات جند الناصر ففتحوا مدينة عرقية من أعمال آمد في سنة ٧١٥ ثم فتحوا آمد بعد ذلك وقد ساعدت الأحوال السيئة في بلاد أرمينية الناصر محمداً على غزوها فقد تولى عرشها الملك ليو الخامس . »

والمروفي أن أرمينية الجغرافية لم يكن لها وجود سياسي في

بالجنح واللاؤم والفدر والحداع . وأن العربي هو وحده الذي يستطيع أن يحقق على هذه الأرض معنى الحرية والإناء والمساواة لأنه حر بالفطرة لم يالف ذلًا قط، ولأنه أخ لمن أخاه لأنه لا يعرف الفدر، ولأن الناس عنده سواء لأنه لا يفتات على أحد ولا يفتري على سواء من الناس .

وأنت أيها الأمير سيف من سيوف الله، ونحن جند من جنود الله فمش بيننا سيفاً مصلتاً مسلولا على أعناق البناة والطناة والظلمة، حتى يأتي اليوم الذي كتب الله لك أن تكون فيه ذبحاً لعدونا وعدوك ونصراً لأمتنا وأمتك، وغرجاً لبلادنا وبلادك من ظلمات الأسر إلى نور الحرية . والسلام عليك ورحمة الله .

محمود محمد شاكر

فتحن العرب لم تولد لتعيش، بل ولدنا لتعيش أحراراً في الدنيا، ولتلم أهل الدنيا معنى الحرية، وكيف تكون الحرية . ونحن قدم بنا اليوم عجز عن تعليم هذه الناس، فغن قريب سوف يأذن الله لنا بأن نأخذ بالأسباب التي تتيح لنا أن نملهم ما خلقنا من أجله، وعن قريب تنفتح عن عيون كثيرة ضلالات كثيرة أوهمتها أن العرب أمة متخلفة قد نفص الزمن منها يديه فصارت كلا وعالة على أهل الأرض .

إن العربي من أمثالك هو الذي سيشهد تراب هذه الأرض في يوم يرويه بعيداً وراه قريباً، أن فضائل البشرية كلها لم تزل حية على فطرتها الأولى في هذه القلوب الزكية الطاهرة، قلوب العرب، وأن العالم سيكون أسرع تقبلاً للمعاني العربية في الحرية والإناء والمساواة من تقبله لتلك المعاني الفرنسية التي تلتفت

أنور زقلة فوضع كتاباً عن « تاريخ المالك » طبعة مصر كتب في صفحة ٦٤ منه « وعاد الأرمن مرة ثالثة للمصيان عام ١٣١٤ في عهد الناصر فأرسل لهم حملة قوية حاصرت مدينة ملطية » . وفي ذلك ما يشر بأنهم ينقلون جميعاً عن مصدر واحد وصاحب هذا المصدر إما اختلط عليه الأمر ولم يفرق بين ولاية سيس وأرمينية الجغرافية أو فهم من وجود طائفة من الأرمن في ملطية أنهم أصحاب الأمر والنهي فيها ، أو هو على علم تام بهذه الحقائق ولكنه كثر من كتاب الغرب الذين لا يملكون التحرر من تقاليد الحروب الصليبية ولذلك ينظرون دائماً بمنظار مكبر إلى كل ما يذكرونها ، ولما كانت ولاية سيس من تلك البقايا فهم يحملونها برغم أنف الزمن دوراً مهماً في التاريخ والحروب والعلاقات السياسية ويضيفون إليها بلاداً إسلامية طال عهدها بالإسلام وأهلها ، ويكبر على أنفسهم الاعتراف بأنها ولاية صغيرة في كيليكية .

وراجب علثنا في التاريخ وضع الأمور في نصابها وإعادة الحق لقويه ، ودولة المالك من الدول الإسلامية التي لم ينصفها التاريخ وتعرضت لشتى الهجمات من مؤرخي الغرب ، ولكن الدكتور علي إبراهيم حسن أنصفها في كتابه وأنصف مصر ، وكان كتابه من دلائل النهضة القائمة والوعي التاريخي لإعادة القيم الحقيقية لذلك العصر فله عظيم الشكر والثناء .

وقد اطلعت بمد كتابة ما تقدم على تحديد نيابة حلب في عهد الناصر كما جاء في مسالك الأبصار ونقل ذلك صاحب صبح الأعشى فإذا فيه « ولاية حلب متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وربة العراق وتحدها من الشمال بلاد الروم وما وراء الهند وبلاد الأرمن على البحر الشامي » ...

وفهم من ذلك أن بلاد الأرمن يقصد عند ذكرها الأراضي الواقعة على خليج الاسكندرونة والبحر الأبيض المتوسط وهي التي يطلق عليها اسم كيليكية أو ولاية أدنه التركية حالياً والتي يخترقها نهرا سيحان وجيحان من الشمال إلى الجنوب : وعرفت بهذا الاسم في هذا العصر الذي نتحدث عنه وإلا فهي قديماً بلاد الثغور والمواصم وفيها قبر المأمون بطرسوس وضمت إلى مصر من عهد أحمد بن طولون ولها تاريخ طويل ومعارك وأيام .

حكم مصر ، ومنها ما هو على حدودها في الولايات التي كانت خاضعة أو متحالفة مع خانات أو إبلخات مغول فارس ، وهي بقاع إسلامية لم يكن للأرمن وملوكهم شأن بها . ودليلنا على صحة ما سقناه قول صاحب البداية والنهاية عند ذكره فتح ملطية « وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتار فاستناب بهار جلا كردياً فتعدى وأساء وظلم فكانت أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا في رعيته » . صفحة ٧٣ جزء ١٢ .

وفي أبي الفداء ما يشرح شكوى أهل ملطية إذ قال « إن المسلمين الذين كانوا بها اختلطوا بالنصارى حتى إنهم زوجوا الرجل النصراني بالسلمة وكانوا يمدون الإقامة للتر ويصرفونهم بأخبار المسلمين » صفحة ٩١ جزء ٤ .

ويظهر أن قاضي ملطية وكان أول من تلقى جند الناصر وطلب منهم الأمان لبلده له يد في هذه الشكوى التي جمل من ضمن ما جاء فيها ما يبرر استفزاز حمية الناصر الدينية وإن كان أبو الفداء يضيف إلى ذلك سبباً آخر هو تعرض أهل ملطية لجند مصر المقيمين في القلاع الشمالية مثل قلعة الروم وبهنسي وكختا وكركر في غدوم ورواحهم . ويذكر القريري في السلوك (صفحة ١٣٤ جزء ٢ للدكتور زيادة) إن التعرض كان ضد الفداوية من أهل مصياب الذين أرسلهم الناصر لاغتيال قراستقر المقيم بمدينة مراغة وإن الكردي الذي تغلب على ملطية وجي أموالها قبض عليهم وترتب على ظهوره أن نائب ملطية من جهة جوبان ويقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين خاف أن يأخذ الكردي نيابة ملطية منه فكانت الناصر واتفق معه على تسليم البلد إليه ، وقد خص فتح ملطية بصفحة فيها تفاصيل عن تسليم المدينة واحتفال نائبيها والتشريف والخلع التي وجهت إلى أعيانها ، ولم نجد فيها ولا فماً لدينا من المراجع إشارة أو كلمة يفهم منها أن ملطية كانت تحت حكم « ليو الخامس » .

ونحن نلتبس للدكتور علي إبراهيم حسن عذراً لأن السيروليم مور في كتابه « تاريخ المالك في مصر » ذكر في الصفحة ٨١ (طبعة مصر مترجمة) « أرسل السلطان الحملات على بلاد الأرمن التمسة وحاصرت عساكره ملطية » ، وجاء من بعده الأستاذ

وعسكر ابن قرمان من آسيا الصغرى، ولذلك نجد أن كتب التاريخ تحدثنا باحتلال جند الناصر لبعض القلاع الواقعة على سفوح جبال طوروس وأوالى تعرض الطرق الموصلة للجبال، نذكر على سبيل المثال قلعة كولاك في شمالي طرسوس على خط عرض واحد مع المارونية وهي في نهاية الغرب من ولاية أدنة، وهناك «بارى كودوك» افتتحها باي ديمير الخوارزمي في عهد الناصر وهي إلى الشمال من طرسوس، ومنها «قلعة لؤاوة» وهي شمالي كولاك.

ولا أجد تفسيراً لاحتلال هذه المناطق غير أن ملك الأرمن سلم بما بين يديه من الحصون التي على الشرق بشرط حمايته من الغرب باحتلال الحصون والمضائق التي يتسرب منها التركان وعسكر ابن قرمان من الجهة الشمالية والغربية لمهاجمة بلاده.

إن التاريخ علم يتقدم مع الزمن شأنه شأن غيره من العلوم وقد يأتي لنا المستقبل بنصوص تفسر لنا كل ذلك فلا أجزم بشيء نهائى ...

أحمد رمزي

أطلب من دار الرسالة

للمؤلف أحمد رمزي

١ - في أصول الأدب

٢ - دفاع عن البلاغة

٣ - آلام فرتر

٤ - رفاثيل

ولما استملكها الأرمن بعد الحروب الصليبية تعرضت لهجمات المصريين فأنزع الملك الظاهر بيبرس قلاع بفراس والبهنسى ودر براك سنة ٦٦٨ ثم فتح الأشرف خليل بن قلاوون قلعة الروم ٦٩١ وهي نهاية ما وصل إليه ملك الأرمن شرقاً، وافتتح الناصر الحصون الواقعة في الشرق من جيحان، ثم جاء الأشرف شعبان ففتح عاصمتهم سيس وبقية ما حولها من البلاد على يد قشتمر النصوري نائب حلب وبذلك أصبحت ولاية أدنة بأكلها تحت حكم مصر حتى الفتح المماني.

وجاء ذكر الحصون والقلاع التي نزلها الناصر من ملك الأرمن في كتب التاريخ وليس بينها خبر عن ملطية أو آمد، ونظرة بسيطة إلى خريطة مرسلة لتلك المنطقة نجعلنا نتحقق من مواقع القلاع التي ضمنها الناصر من بلاد الأرمن وهي تكون مع الأراضي تقريباً ما يشبه تلك قاعدة خليج الاسكندرونة بين بياس وإياس ودائمة المارونية (نسبة لما دون الرشيد) وهي جيماً شرق نهر جيحان. ويقول أبو الفداء «وهو ملك كبير وبلاد كثيرة». ويقول صاحب السلوك «وأقطع السلطان أراضى سيس نائب حلب ونائب الشام وغيرهما من الأمراء وأقر فيها جماعة من التركان والأجناد، فاستعملوا الأرمن في الفلاحة وعمل في كل قلعة من قلاع الأرمن نائب ورتب فيها عسكر»

ولكن الكتب التي أخذت من المصدر نفسه تقول بجلاء عسكر مصر ومنها كتاب الدكتور علي إبراهيم حسن الذي يقدر في صفحة ١٦٩ «ثم جلت جيوش الناصر بعد أن جمعت كثيراً من الأسلاب والغنائم» والحقيقة أن الجلاء كان من الأراضي الواقعة بين النهرين أي شمال المصيصة وأدنة.

أما ما كان شرق جيحان فهو الذي تناوله الأقطاع، ودلائلنا على ذلك أن ملك الأرمن بحث بمفاتيح القلاع إلى القاهرة: وهي لإياس (٣ قلاع) والمارونية والنقير وكودا والحيمصة ونجيمة كما جاء في كتاب تاريخ سلاطين مصر والشام. ويضيف أبو الفداء مرفندكار والمصيصة وكوبرا، ويقول «ضرب السلوق برج لإياس الذي في البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً ...»

ومع بقاء ملك الأرمن في عاصمتهم سيس حتى عهد الأشرف شعبان تحت حماية ملوك مصر بقيت بلاده عرضة لهجمات التركان